

الشفوي والمكتوب Oral and writing

بلال صبايحي *

تاريخ النشر: 2022/05/01	تاريخ القبول: 2022/01/15	تاريخ الإرسال: 2020/07/20
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

استعملات اللغة العربية حال التواصل عديدة.. وعليه سأفرد في مدونتي هذه الحديث عن بعض الممارسات اللغوية المنتشرة مؤخراً، مخصصاً بالذكر الإرسال والاستقبال، قصد ضبط اللسان والبنان أثناء المشافهة والكتابة. وقد تتبع خطة علمية عملية - منهجية وصفية - يندرج محتواها ضمن عنوان رئيس: الشفوي والمكتوب. وعناوين فرعية تهدف إلى تيسير الاستعمال اللغوي السليم، مما يتطلب عملاً مشتركاً بين الأفراد والهيئات الوصية انطلاقاً من إسهامات الفاعلين الشرعيين.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الأداء، الشفوي، المكتوب، الحوسبة.

Abstract:

The huge spread of the use of Arabic language led me to talk about it. I will blog this to talk about transition and reception. in order to regulate the tongue and the structure during the oral and written discourse.

A practical scientific plan descriptive approach has been followed where the content of which was included in a headline: Oral and written.

Subheadings are designed to facilitate proper linguistic use, which requires joint action between individuals and the governing bodies based on the contributions of legitimate actors.

Key words: Arabic language, the performance, oral, written, ICTES.

المؤلف المرسل: بلال صبايحي billelsebaihi@yahoo.com

* جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 01 billelsebaihi@yahoo.com

1. مقدمة:

لا ريب أن وشائج العلوم تتأثر بأطر زمكانية تحكمها الخصوصية فينة، والرحابة فينة أخرى، نظرا لسمتي التأييد والتفنيد لمختلف دعائم وأساليب التجديد. واللغة بمفهومها الشامل ما هي إلا صلة وصل فعلية بين الأفراد والجماعات، لذلك لا منأى للغة العربية عن هذا الحد العام الذي يؤول إلى أسس وضوابط استغلقت على كثير من الخلق، بيد أنها حاصل إرهاصات سابقة - حتى لا يغفل عنا ذلك - وإرهاصات علمية عملية لما يعقبها في آن، وعبر زمان؛ أي مختلف الاستعمالات الفصيحة والهجيئة، القديمة والحديثة، النافعة والضارة ...

على اختلاف الطبيعة التواصلية؛ مشافهة وكتابة.

وأنا أفرد في مدونتي هذه الحديث عن اللغة العربية انطلاقا من استعمالاتها المنتشرة في الآونة الأخيرة بكثرة في مختلف البلدان العربية، لاسيما الأعجمية مخصصا بالذكر الإرسال والاستقبال أثناء التواصل الشفوي والكتابي، ملفتا الانتباه إلى مكملات بعضها غير منئي عن بعض؛ منها الآلي المعاصر والكلاسيكي المألوف. والسؤال الذي يراودني:

ما هي مفاتيح مغاليق الأداء اللغوي السليم قبل التدوين وبعده؟
تقتضي الإجابة عن هذا الطرح تتبع خطة علمية عملية - منهجها وصفي يتتبع جزئيات الموضوع ويحللها، مع الاستعانة بالمقارنة وفقا لمقتضى الحال - تندرج محاورها ضمن مداخلة معنونة بـ: الشفوي والمكتوب.

أما عن فرضيتي هذا الطرح مفادهما التركيبين المواليين:

✓ المدون المقروء مطابق للشفوي المسموع إن كان فصيحاً.

✓ المدون المقروء غير مطابق للشفوي المسموع إن كان غير فصيح.

وسيتضح - لا محالة - من خلال معالجة محاور الفرضيتين السالفتين سر النهوض باللغة العربية تعليماً وتعلماً وممارسة، مما يتطلب جهداً معتبراً وعملاً مشتركاً، تقرر الوصاية الخاصة، وتبناه العامة تدريجياً، استناداً لما تمليه جهود وممارسات الفاعلين الرسميين والأكفاء المتخصصين.

2. أقوال على اللغة المنطوقة (ابن جني) أنموذجاً:

ورد في (خصائصه) عن اللغة ما يلي:

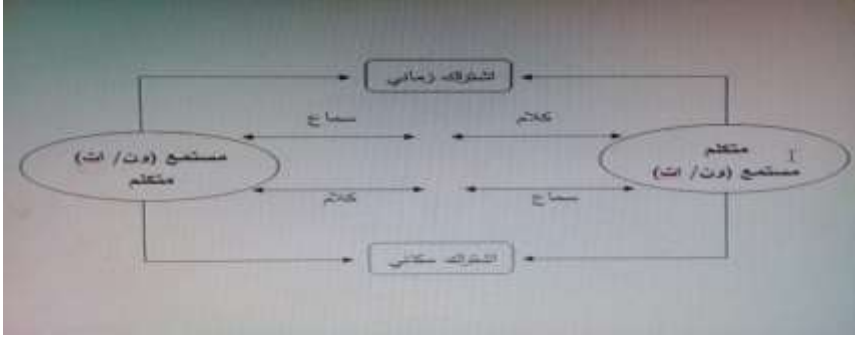
« أما حدها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. هذا حدّها (...) وأمّا تصنيفها ومعرفة حروفها فإنها فُعلة من لغوت. أي تكلمت؛ وأصلها لُغوة ككرة، وقُلّة، وثُبّة كلها لاماتها واوات؛ لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلّة، ولأنّ ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب». ⁽¹⁾ وممّا يمكن الاستدلال به في هذا السياق تقبّل (ابن جني) مذهب القائلين « أن أصل اللغات كلها إنّما هو من الأصوات المسموعات (...) ثم وُلدت اللغات عن ذلك فيما بعد ». ⁽²⁾ وهو عنده وجه صالح فيه إقرار بالصورة الصوتية السمعية للغة.

أما عن حصر اللغة في الأصوات المنطوقة بعيدا عن الإشارة والصورة ... ونحوهما فذلك ناجم عن واقع معيش يعكس القول الموالي بعض حيثياته. « فالكلام يمكن أن يتم بينما يباشر الإنسان عملا آخر يدويا ويمكن أن يحدث في الظلام، ولعلّ هذا هو السبب الذي حدا بأجدادنا القدماء أن يفضلوا الحديث على غيره من طرق التفاهم، مثل الإيماءات التي ربما كانت أسبق وجودا من الكلام، ومثل التّعبير بالصور الذي ربما كان متأخرا في الوجود وأدى إلى اختراع الكتابة ». ⁽³⁾ حيث ظهرت هذه الأخيرة في مرحلة تالية لسابقتها ألا وهي مرحلة اللغة المنطوقة (الاستماع والكلام) على اختلاف الأطياف الممارسة لمهاراتها في ظل التواصل الجماعي الحتمي. ولا يخفى علينا أن القدرات السمعية الفردية ترتبط بتعلم الكلام وتسهم في إنماء المدركات العقلية والفكرية علاوة على اكتساب المعلومات، لذلك فإن فاقد السمع بعد الولادة لا قدرة له على نطق الكلام، ومن هنا تتجلى العلاقة الدقيقة بين المسموع والمنطوق (الاستقبال والإرسال) على اختلاف طبيعتهما. ⁽⁴⁾ ولا يمكن بحال من الأحوال من الأحوال أن يتجاوز الأداء الشفوي (المشفاهة) الرصيد المسمّع القارّ لدى المُشافِه، قبل الأداء وممارسة الخطاب.

لقد اهتم ابن جني في خصائصه بمفاهيم جمة شملت المصطلحات التالية: (القول الكلام / اللغة)، وقدم تفسيراً مطولاً لا يحيد عن واقعه، يظهر تجاذب الألفاظ وتنافر المعاني على حسب المعاملات الرامية إلى الفهم والإفهام.

فبعدما كان التواصل عن طريق الكلام آنذاك مرهونا بوجود طرفين مشتركين في الإطار الزمكاني كما تبيّنه خطاطتنا الموالية تَغَيَّرَ الحال في بعض الأحيان الراهنة مثلما سيأتي تفصيله في حينه.

الشكل رقم 1: عملية التواصل الشفوي المباشر.



1.2 التواصل المباشر:

المقصود بالتواصل المباشر عملية التكليم التي لا تتم إلا وسط حيز اجتمعت فيه أعضاء الناطقين والسماعين، قصد إيصال الشفوي المُسمَّع من دون وسائل التواصل الالكترونية الرابطة بين الحاضر والغائب. أما بشأن الدعائم الأخرى التي يعوّل عليها أثناء المشافهة، كالإيماءات وغيرها من العلامات السيميولوجية ذات السياق المشترك فإنها وثيقة الصلة بالمباشرة والمعانية، ولا قيمة لها ما لم تكن مرئية وإن كانت حاضرة اعتيادا أثناء التواصل غير المباشر. مثل ما نلاحظه من تصرفاتنا في بعض مكالماتنا الهاتفية، حيث يستعين الواحد منا بحركات اليد مثلا رغم أن المتلقي يسمع الكلام الشفوي ولا يرى المُشافه ولا ترميزه. وفي هذا السياق لابد من الإحاطة علما بأهمية فن الرمز (السيميولوجيا)؛ تلك الدراسات العلمية لمختلف الرموز اللغوية وغير اللغوية.⁽⁵⁾

وبخصوص هذا التواصل الشفوي غير المباشر فهو ممكن إذا تهيأت له ظروفه، وحُسن استغلال دعائمه؛ أي أن الفرق بينه وبين الأول يكمن في استعمال بعض الروابط التواصلية الراهنة كالهواتف النقالة، وأجهزة الإعلام الآلي بمختلف برامجها وتطبيقاتها (ماسنجر، إيمو، واتساب، فايبر، سكايب ...)، حيث يجد المتكلم نفسه أمام إمكانية إيصال صوته لمستمع حاضر غائب في آن، يخالفه المكان وربما حتى الزمان، إذا أخذنا في الحسبان التوقيت المغاير بين البلدان.

لكن السؤال المطروح:

ما هي انعكاسات هذه الوسائل على الكلام العربي الفصيح؟.

يمكننا وصف طبيعة الأداء اللغوي عبر الوسائل السالفة الذكر كما هو ظاهر أدناه:

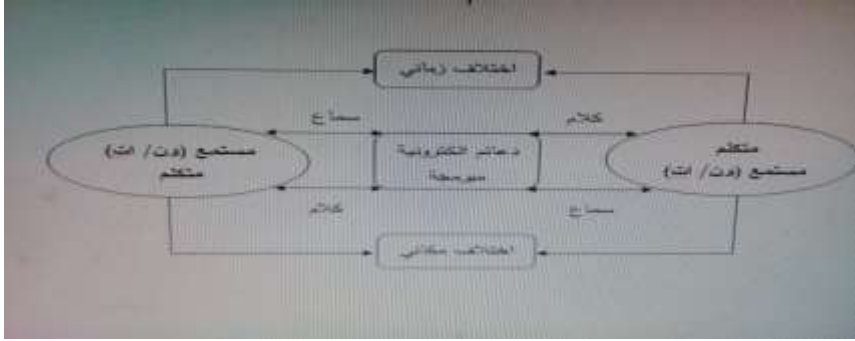
- مشافهة مقيدة في بعض الأحيان بمؤثرات خارجية، وأزمة معينة، ودعائم تواصلية ..
قد تتعطل عن أداء وظيفتها في أي لحظة، مما ينجر عنه سوء الإقفاهام والفهم، أو انعدامهما.
- كلام قد لا تظهر ملامح صاحبه بوضوح أو قد تغيب، وكذا نبرته، فيجانب المستمع المقصود أحيانا أثناء عملية الرد على مكلمه.
- استعمال ألفاظ عامية وأخرى أعجمية، رغبة في إيقال الفكرة عبر هجين لغوي يعود على الألسن بالتفسير والتنفير.
- التأثير والتأثير ربما عن غير قصد، ظنا من الآخر أن تلك الاستعمالات الشفوية سليمة ومفرداتها فصيحة.
- تفيد بعض برامج تلك الوسائل في عمليات التعليم والتعلم، عن طريق الترجمة والشرح، والتكرار والاستشهاد، والتسجيل .. وغير ذلك مما ييسر عملية التقليد لاسيما الإبداع الذي يبقى مرهونا بإعادة الانتقاء، وكثرة الأداء، مع تصحيح الأخطاء وعدم الخضوع للإغواء.
- الاستثمار في الوقت، مع محاولة بناء صورة سمعية بصرية سليمة في ظل تباين المعطيات الداخلية والخارجية لكل واحد على حدة.

2.2 التواصل غير المباشر:

انطلاقا مما سلف ذكره يمكننا القول إن المقصود (بالتواصل غير المباشر) مختلف عمليات التكليم التي تتم دون حضور كلي، عبر وسائط الكترونية مختلفة البرامج، تنقل الصوت والصورة بين (المرسل والمرسل إليه) أو الصوت فقط، ناهيك عن عمليتي التخزين والاسترجاع بواسطة تلك الوسائط والوسائل التي تسهم أيما إسهام في تجاوز حتمية الآنية إلى احتمالية الزمانية دون تنقل، في ظل الغياب المباشر لأحد أطراف التواصل اللغوي الآلي، ناهيك عن قيمة رقابة الولي، بيد أن سلبية التصرف والاستعمال الخاطئ ضررهما أكبر من نفعهما، وواقعهما ظاهر للعيان.

وفيما يلي خطاطة توضيحية للعملية التواصلية الشفوية غير المباشرة تشمل الأطراف والدعائم.

الشكل رقم 2: عملية التواصل الشفوي غير المباشر.



لقد اكتفيت بذكر جزئية واحدة منتقاة من كتاب (الخصائص) لابن جني كون المقام يفرض ذلك - تسليط الضوء على الأصوات المنطوقة - فضلا عن الاستشهاد بأراء رعيلا الأول ممن أسالوا الحبر الكثير في المجال اللغوي (ماهية اللغة، أهميتها وطرائق اكتسابها ..)، ومجالات أخرى، لمن أراد الاطلاع عليها فما عليه سوى الرجوع إلى مظانها الأصلية. والآن يليق بنا عرض مقابل للأداء الشفوي، ألا وهو المدون (المقروء)، قبل الجمع بينهما في الثنائية الموالية:

(اكتساب العربي للغة/ إكساب الأعجمي لغة غيره "العربية").

3. اللغة المكتوبة:

يمكننا القول إن تبعية المكتوب للملفوظ ولحاقه به مسلمة لا ريب فيها، خاصة إذا علمنا علما جازما أن الغاية من كتابة الحروف اللغوية هي وضع رموز مترجمة للأصوات اللغوية الملفوظة. وما لا يجب إغفاله « هو أن الكفاية اللغوية تتبدى في مهارتين اثنتين؛ إحداهما: مهارة شفوية تعول أساسا على الأداء المنطوق. والأخرى: مهارة كتابية، تعول على العادات اللغوية الكتابية للغة معينة ». (6)

وعليه نجد طغيان ظاهرة المشافهة على الكتابة في حياتنا اليومية، باستثناء ما هو منتشر مؤخرا عبر مختلف الوسائل الالكترونية المتكاثرة ذات البرامج التواصلية الجماعية، والثنائية التي تقتضي مقابلة المكتوب آليا بنظيره (المكتوب)، أو بضده (المنطوق) - مثلما سيأتي تبينه - طبعا دون نكران لقيمة المكتوب يدويا.

أما عن (الكتابة) فما هي إلا « ترجمة للفكر ونقل للمشاعر، ووصف للتجارب وتسجيل للأحداث وفق رموز مكتوبة متعارف عليها بين أبناء الأمة المتكلمين، القارئ والكاتبين، ولها قواعد ثابتة وأسس علمية تراعي الذات والحدث والأداة، حتى تكون في الإطار الفكري والعلمي ليتم تداولها وفق نظام معين متعارف عليه»⁽⁷⁾.

ببساطة هي وسيلة تواصلية متعارف عليها بين الأفراد والجماعات تستغل في نقل الأفكار والانشغالات الظاهرة والمكنونة عبر الترميز والترقيد. لذلك لا مناص للعمليات التعليمية من الاعتماد على الدعائم التالية: (المشافهة، الإشارة، الكتابة)؛ « فالمعلم يبلغ مادته إما شفويا أو كتابيا، والمتعلم يتلقاها إما بالسماع أو القراءة، وبذلك يحصل التواصل بينهما وتتم المخاطبة»⁽⁸⁾ مع العلم أن الكتابة السليمة من منظور عبد الرحمان الحاج صالح تعتبر مهارة لغوية قيّمة داعمة للفكر والثقافة، لا تبدى أهميتها في شكلها ونوعها، بل تتجلى فوائدها انطلاقا من درجات تحقيق نظامها لعملية التبليغ على الوجه المرجو.⁽⁹⁾ لاسيما في ظل هذا الغزو الآلي وانتشار الإنترنت مما يقتضي ضرورة التكيف وحسن التصرف، بغية إثبات منافع اللغة؛ أخص منها العربية الفصحى وقدرتها على تصدر لائحة اللغات في العالم؛ كيف لا وهي لغة العلامات الإعرابية، مفرداتها أكثر بكثير من مفردات أي لغة حال المقارنة (المشترك اللفظي الترادف، التضاد)، ما ماتت ولا وهنت منذ ظهورها وتفشى إلى يومنا هذا؛ تطابق شبه تام بين ملفوظها ومكتوبها، عدا قليل مما يُلفظ ولا يُكتب أو العكس كالألف الفارقة بيد أن التنافر حاصل في الهجين اللغوي مثلما سيأتي التبيين.

1.3 التواصل الكتابي :

الشكل رقم 3: عملية التواصل الكتابي.

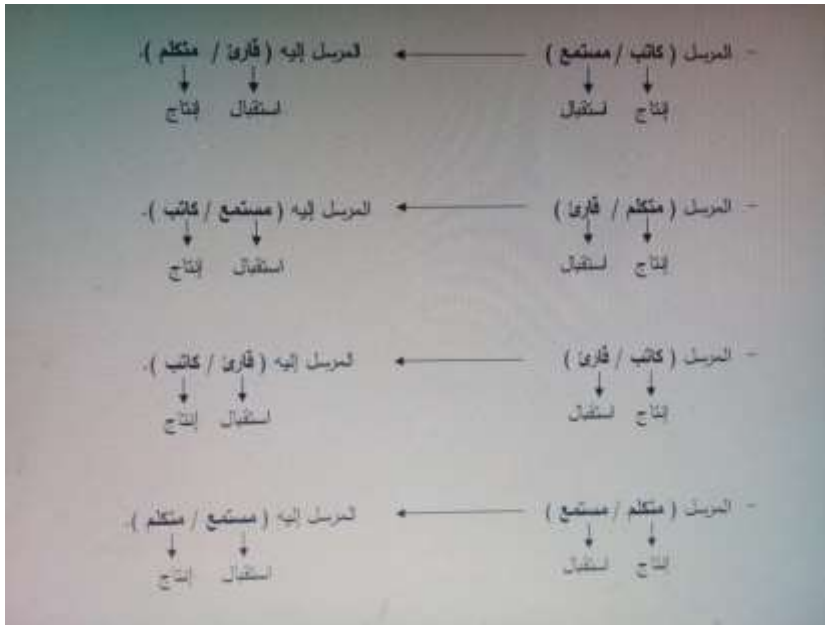


استقراء:

إذا كان القارئ جنب الكاتب قد يقوم بعملية قراءة المكتوب قبل إتمامه، ولو لم يكن موجهاً له، دون إغفال - طبعاً - لفردية الكاتب وجماعية القراء في تحليل بعض النصوص والمدونات والأبحاث تحليلًا متباينًا متكاملًا في آن، لاسيما وأن الشفوي والمكتوب أنواع متنوعة، من حيث المستوى والتعارف. كما أن ردّ القارئ في بعض الأحيان يتجاوز الكتابة إلى الكلام - والعكس صحيح - مثلما هو معمول به في بعض البرامج والحصص التلفزيونية، وكذا عبر شبكات التواصل الاجتماعية كإنشاء المجموعات التعليمية، والترفيهية ... وغيرها، فتتخسر عملية التواصل في الاحتمالات المولية.

2.3 عمليات التواصل:

الشكل رقم 4: أطراف العمليات التواصلية.



مما لا يعزب عن بالنا أن تحقيق التواصل المنشود (إفهام/ فهم) مرهون بتحصيل اللغة دون إهمال ولو لمهارة واحدة من مهاراتها الأربع: (الاستماع، الكلام، القراءة، الكتابة) عبر طرائق علمية عملية مجزية، لاسيما الاستعانة بجميع الوسائل المتوفرة، « ومن أهم هذه الوسائل التعليمية: **المخابر اللغوية** المستخدمة في تعليم اللغات، وهي المخابر التي تعدّ أرقى وسيلة وأشملها في تدريب المتعلم على اكتساب المهارات اللغوية المختلفة ولذلك يكون وجودها في المؤسسة التعليمية ضروريا جدا بخاصة في تعليم اللغة لغير الناطقين بها».⁽¹⁰⁾ وحتى لا تبوء هذه المخابر بالفشل الذريع، يسعى أفرادها إلى اعتماد وسائل تكنولوجية متطورة وتقنيات حديثة متداولة، ودراسات لغوية آلية متجددة تسهم أيما إسهام في عملية اكتساب اللغة وإكسابها للآخر؛ أخص ههنا تعليم اللغة العربية الفصحى للناطقين بغيرها، أملا في ضبط اللسان والبنان، ومن ثمة تبيان سماتها الحسان، حتى يتمكن الآخر من الإبداع في الأداء بعد الاقتناع والاقتداء، وهذا ما لا يحصل إلا في خضم التيسير، والنأي عن الغرابة والقواعد اللغوية الشاقة؛ أي ممارسة الشائع الفصيح

ببساطة وتخفيف، لكن الغريب في واقعنا قلة هذه المخابر وعجز القلة القليلة عن أداء وظيفتها الحقيقية لأسباب كثيرة أهمها:

- بيروقراطية الاعتماد والانتماء.

- العجز المادي والبشري.

- غياب التخطيط، وعسر التنفيذ.

كل هذا نظير ما نلاحظه اليوم من إنشاء مراكز تعليمية عامة وخاصة، وظيفتها التعليم المكثف للغات بشتى الأدوات.

انطلاقا مما سلف ذكره من أفكار ومفاهيم مقتضبة - الغاية منها ربط المكتسبات القبلية بما يعقبها - ارتأيت استكمال عرض التداخل والتكامل بين مصطلحات البحث؛ (اللغة، الشفوي، المكتوب، الحوسبة ..) عبر جملة من المقاربات التي تمس حقائق وتحديات الواقع اللغوي للناطقين بغير اللغة العربية، ناهيك عن واقع الناطقين بها، في ظل تزايد أدوار أصحابها الرامية إلى مسعى مشترك؛ مفاده إنجاح تعليمية اللغة العربية حتى يلحق الأعجمي بالعربي وقد يحول دون الوصول إليه معوقات آت بسطها.

4. مقاربات واقعية:

مهما تعددت وسائل التواصل وتنوعت برامجها يبقى الحاسوب (جهاز الإعلام الآلي) مرصدا جديدا لتعليم اللغة العربية الفصحى التي نالت حظا وافرا من الحوسبة والرقمنة والمراقبة، بغية إثبات مرونتها، وتيسير عمليات تعليمها وفق متطلبات العصر وتحدياته الراهنة، سواء كان المتعلم ناطقا باللغة العربية، أم ناطقا بغيرها.

فيا ترى ما هو حالنا مع تعليم اللغة العربية واستعمالها ؟

هل تجاوزنا الصعوبة ؟ وهل حققنا الحوسبة ؟

إن المهتمين بميادين تعليم اللغات يدركون قيمة الملاحظات العلمية الموضوعية لمختلف الظواهر اللغوية لاسيما دور الممارسات العملية، وحتمية تحدياتها الآلية في تحصيل الملكات، فيبذلون قصارى جهدهم من خلال عمليات التنقيب، والتوجيه والتقويم ... وغير ذلك مما هو مبعوث في ثنايا المعاينات الموالية:

• ضرورة بناء الملكات اللغوية: (السمع والكلام، القراءة والكتابة)، من منظور الوقائع والحقائق الراهنة كاعتماد المراثيات الصوتية (الأشرطة، الأفلام، النقاشات

والحوارات ..الخ) عبر مختلف شبكات التواصل والإعلام حسب النشوة والميول والنضج دون إغفال لقصدية الإعداد والبناء في قالب نصحي تواصلي تأثري بسطا وقبضا، عفوية وتكلفا، طلبا لربط اللغة العربية الفصيحة بواقع المتلقي.

- التدرج شيئا فشيئا من الخفيف الفصيح إلى الأقل خفة قصد الترغيب بدل الترهيب، فمن المعلوم بداهة أن أصل التحصيل الميل والحافز، ولا حظ منه لمن لا قابلية له باستثناء القليل ممن أكره عليه. ومن أمثلة التدرج أذكر:

- استعمال الشائع وتجنب الحوشي في الخطابات الشفوية والمكتوبة الموجهة أساسا لأصناف متنوعة من المتعلمين، وفي ذلك انغماس واقتباس، ناهيك عن التصحيح الجزئي للالتباس.

- محاولة تجاهل الهجين اللغوي والمزيج اللهجي أثناء المعاملات اللغوية المتكررة يوميا عبر جميع شبكات التواصل الاجتماعي؛ سواء كانت تعليمية أم ترفيهية فأنى للناطق باللغة العربية والناطق بغيرها إحكام وإتقان كل ذلك. لاسيما تعدد « الصفات أو الخصائص التي تتميز بها بيئة ما في طريقة أداء اللغة أو النطق»⁽¹¹⁾ حال التواصل.

- استعمال لغة عربية سليمة في: الفضائيات، الهواتف النقالة ذات البرامج والتطبيقات المتنوعة (الفيس بوك/ التويتر/ الفايبر/ الإيمو/ الواتساب الماسنجر ..)، أجهزة الإعلام الآلي (محرك البحث قوقل/ البريد الإلكتروني؛ ياهو وجيميل ..) على الأقل حتى لا يظن المتعلم أنها لغة جامدة، فعلى العكس من ذلك هي لغة صالحة للاستعمال بشتى الوسائل وفي كل مجال، كونها ثرية لذاتها لا بغيرها من اللغات ولا كغيرها منهم، حيث تضم ثروة مصطلحية تسعي من خلالها المسميات بأسمائها، لكن للأسف يتميز الاستعمال التواصلي الراهن عند عدد هائل من نخبة مجتمعنا الجزائري - ناهيك عن الفئام الأخرى - باقتراض حروف أعجمية ووضعها وسط تركيب وتناسق عربي مغاير للدلالة على المعنى المقصود وكأن حروف العربية عاجزة أو مستعصية على الأفراد والجماعات، بيد أن العربية بحروفها وأصواتها براء من ذلك. وحاشا أن توصف بالقصور التبليغي.

ومن النماذج الشائعة للاستعمال المنبوذ مثلا كتابتهم: (slm) والمقصود: (سلام).

وحق العامية لم تسلم منه نحو: (roh lih) والمقصود: رُوْح لِيْه (اذهب إليه).

هذا الذي يُريك متعلم اللغة ومستعملها، فيصرفه عنها؛ لأن الصوت المسموع يرمز له بأكثر من حرف، وأنا اليوم أناشد كل عربي لاستعمال لغة عربية فصيحة معلومة الأصوات والحروف منذ عصور ضاربة في التاريخ، قصد تحقيق السلامة الموالية: (الفهم والإفهام)، (التعليم والتعلم)، (الاستماع والاستعمال).. وغيرها من الثنائيات.

• تشجيع المتخصصين في اللغة العربية، والإعلام الآلي والبرمجيات، وسائر فضاءات التواصل على التفعيل والتفعيد لمختلف البرامج والآليات بواسطة اللغة العربية الفصحى، لتقديمها على طبق من ذهب تحذوه نشوة الذات، ونظرة الآخر للذات خلافا لما هو سائد في الواقع المعيش؛ أو بالأحرى تعريبها تعريبا سليما يُسهّم في تيسير التعليم وتصحيح الأخطاء فور وقوعها. ونحن نعلم علم اليقين أن نظام (الورد / Word) مزود بتقنية تصحيح الأخطاء الإملائية، بيد أنها غير كافية، لأننا بحاجة لتصحيح كتابة المفردات والتراكيب تجنباً لسلامة الكلمة واعوجاج التركيب الذي ينجم عنه خلل يبيّن في الدلالة، وهذا الذي أراه يستحق أن يكون شغلا شاغلا لأعضاء مخابر البحث العلمية على اختلاف تخصصاتهم (لسانيات عربية، تكنولوجيات حديثة، إعلام آلي وبرمجيات، علم الاجتماع... الخ). وأذكر في هذا السياق نموذجين يستحقان التشجيع والتطوير؛ أولهما: مشروع الذخيرة العربية للساني عبد الرحمان الحاج صالح رحمه الله.

وأحدهما الآخر مشروع الموسوعة الجزائرية (ألفاظ الحياة العامة في الجزائر) تحت إشراف المجلس الأعلى للغة العربية الذي يتأهله صالح بلعيد، حيث تم إنشاء منصة إلكترونية لجمع المادة وتنظيمها بطريقة تتيح للباحث ربح الوقت والجهد في الحصول على المعلومة والفائدة.

ويا حيدا لو كانت فاصلة بين المستعمل والمهمل لكل حقبة، فتحصل بذلك مطابقة مقتضيات الحال بالنسبة للعامة، مع فتح مجال البحث أمام الخاصة.

• الحرص على عدم الوقوع في مزالق الترجمة التي تنكص بأصحابها على أعقابهم من خلال مضاعفة جهود أعضاء المخابر، وإنشاء هيئات متخصصة وموثوقة تحكمها ضوابط علمية منهجية بحتة، حتى تسهر على تقديم الأنفع فالأنفع. ولا يخفى علينا أن ترجمة المرادفات شيء، والترجمة بالمضامين شيء آخر، ولكل واحدة منهما مواضعها.

مع العلم أن لكل بيئة ثقافتها ومعتقداتها المتعارف عليها ولا مناص للغة بمفرداتها ودلالاتها من تلك الأصول.

5. خاتمة:

بعد عرض بعض جزئيات هذا الطرح، تماشيا مع متطلبات الموضوع، اهتديت إلى ملاحظات واقتراحات كنت قد أشرت إليها آنفا – لا داعي لتكرارها - مجملة وفقا لمقتضى المقام، علما أن بسطها ممكن حتى يستفيض البحث أكثر وتلقى المبادرة تفعيلا أكبر، يمتزج فيه الكمّ المعرفي النظري بالحقائق الواقعية الميدانية. بيد أنني أردت التنويه أكثر إلى مسألة الاهتمام بجميع آليات الكتابة المنتشرة بكثرة في أيامنا هذه طبعا دون تهيميش المشافهة لأن المسموع هو السابق الأول في توجيه لسان المتكلم المتعلم (عربي/ أعجمي) قبل المكتوب وكل الذي قيل عن هذا الأخير لا يُستثنى منه الأول؛ ببساطة نسعى لإرساء دعائم آلية لغوية تهتم بالصورة السمعية والبصرية في آن، الصوت والصورة (حرف/ إشارة) بين كفتي الميزان، من خلال التعزيزات المتنوعة (مادية/ معنوية)، والمتابعات المستمرة للعمل على الرقي بالمسموع العامي إلى درجة الفصيح المخفف حال الاستعمال والتواصل، وبهذا تحصل مقارنة التطابق بين ذلك الأخير وبين المدون المقروء، فتزاح إشكالية الخماسية اللغوية التواصلية، أو السباعية .. أو ما إلى ذلك، حسب الاستعمالات الفردية والجماعية داخل كل مجتمع وخارجه؛ لا أقول الازدواجية اللغوية لأن المعاينة أثبتت استعمالات شفوية متعددة تقابلها كتابات شائعة مستهجنة، في أفولها تيسير للممارسات اللغوية المشتركة بين العرب والعجم، فتكون بذلك لغة القوم هي لغة علمهم وعملهم، لغة معاملاتهم المحلية وغير المحلية.

5. الهوامش:

- 1 ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار. المكتبة العلمية، دط مصر، (1376هـ/1957م)، ج1، ص33.
- 2 المصدر نفسه، ص (46/47).
- 3 باي ماريو، أسس علم اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر. عالم الكتب، ط8، القاهرة، (1998م) ص39.
- 4 نبيل عبد الهادي وآخرون، مهارات في اللغة والتفكير. دار المسيرة، دط، عمان، (2003م)، ص 156.
- 5 أحمد مختار عمر، علم الدلالة. عالم الكتب، القاهرة، ط5 (1998م)، ص14.
- 6 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية (حقل تعليمية اللغات). ديوان المطبوعات الجامعية دط، الجزائر، (2000م)، ص (131/132).
- 7 فخري خليل النجار، الأسس الفنية للكتابة والتعبير. دار الصفاء، ط1، عمان، (2011م)، ص 69.
- 8 بشير إبرير، دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي. منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية دط، مطبعة المعارف، عنابة، (2007م)، ص 60.
- 9 عبد الرحمان الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات. الجزائر، المجلد الأول العدد الثاني، (دس)، ص 27.
- 10 المرجع السابق، أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص152.
- 11 محمد بن براهيم الحمد، فقه اللغة، دار ابن خزيمة، الرياض. ط1 (1426هـ/2005م)، ص91.

*** **